# قمة الأزمة في المسرح المصري

# موسم مسرحي فاشل .. فمن المسؤول عنه ؟!

بقلم محمد بركات

هذه هي الحركة تهدأ ـ اخيرا ـ على خشبة المسرح ، ويهبط الستار ليعلن انتهاء موسم مسرحي عظيم الجلبة ، قليل العطاء ، لا يكاد يختلف اثنان من المهتمين بالحركة المسرحية والمشاركين فيها في الحكم عليه بالفشل .

وثمة اسباب متعددة ، ومشاكل بلا حصر تكمن وراء هذا الفشل الذي مني به الموسم المسرحي الاخير .

على ان سببين رئيسيين يتقدمان كل الاسباب وينضوي تحت لوائهما ما لا حد له من المشاكل الصغيرة كان لهما ابلغ الاثر في انتكاسة هذا الموسم :

السبب الاول : ان مؤسسة المسرح لم تصدر في موسمها هذا عن « خطة » واضحة ودقيقة تتكافأ مع حاجة الوطن الى الاعمال الفنية الجديدة في هذه اللحظة التاريخية المشحونة بالصراع .

وهكذا بدأ الموسم بغير خطة مسبقة تفصح عن تصور الهيئة لهذا الموسم وللاعمال التي ستقدم فيه ، ولماذا تقدم . وما هدفها في النهاية؟

وكان معنى هذا ان الاعمال المسرحية التي قدمت على امتداد هذا العام قد تم تقديمها بحسب الظروف الخاصة بكل مسرح ، وتبعا للعوامل الوقتية والمؤقتة ، او تنفيذا لاهواء ورغبات مدير المسرح ، او خضوعا لمبدأ الصدفة !!

وقد كان من العجيب ان يبدأ العمل مثلا في اخراج احد العروض ثم يستمر هذا العمل شهرا او شهرين لنفاجأ بالغاء العرض بعد الوقت الذي انفق والاموال التي ضاعت والجهود التي اهدرت .. كما كان من العجيب ايضا ان يوشك العرض الاول في اي من مسارح الهيئة على الانتهاء دون ان يعلم مدير هذا المسرح او الهيئة نفسها شيئا عن العرض التالي . ما هو ؟ ومتى يقدم ؟ ومن الذي سيقوم على تقديمه ؟

لقد استهلكت المشاكل الادارية الكثيرة المعقدة . والنزوات الشخصية الصغيرة عند بعض المديرين والمخرجين جهد الهيئة ووقت القائمين عليها فلم تتذكر في غمرة هذا كله ان ثمة موسما مسرحيا هناك ينبغي الاعداد له والتخطيط لاعماله قبل وقت كاف من بداية الموسم .

والمؤلم ان مشكلة التخطيط ـ او قل غياب التخطيط ـ اصبحت من المشاكل المألوفة والعادية في مؤسسة المسرح لطول ما لازمت مواسم المسرح المصري ولطول ما تكررت عاما بعد عام حتى لم يعد يلتفت اليها احد او يفكر فيها بادنى اهتمام !

السبب الثاني : ان التخبط الاداري وعدم الاستقرار الذي يعاني منه المسرح المصري منذ سنوات قد بلغ ذروته في هذا الموسم .. ووصل الامر الى حد الانفجار او الانهيار اخيرا .

وقد افصح هذا التخبط عن نفسه بشكل لا يمكن ان يصدق اذ اختلف على رئاسة هيئة المسرح في موسمها هذا الاخير ثلاثة من رؤساء مجالس الادارة او القائمين باعمالهم .

لقد كان الدكتور « عبد العزيز الاهواني » مسؤولا عن الثلث الاول في هذا الموسم ، وكان « عبد المنعم الصاوي » مسؤولا عن الثلث الثاني، وكان « سعيد خطاب » مسؤولا عن الثلث الاخير .. وفي ظل هذا التعدد فنحن لا يمكن ان نلقي بتبعة هذا الموسم على مسؤول بعينه بعد ان تبعثرت هذه المسؤولية واصبح الجميع ابرياء ـ من دم هذا الموسم المسرحي ـ براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

والعجيب ان مؤسسة المسرح التي وجدت ثلاثة من المديرين او المسؤولين يقومون عليها في هذا الموسم لا تجد الآن واحدا على الاقل يقبل رئاستها .. وما زالت المؤسسة تعمل بلا قيادة عليها مسؤولية منذ اقيل عبد المنعم الصاوي من منصبه قبل عدة شهور .

وبمثل ما ان هذا المنصب الكبير الخطير يمثل مطمحا لعدد كبير من الناس .. فان عددا آخر من المثقفين المصريين قد عرض عليهم المنصب فرفضوه او وضعوا شروطا لقبوله تستلزم تغيير الهيكل التنظيمي للمؤسسة برمته وهو مطلب يبدو صعب التنفيذ ان لم يكن مستحيلا . والسؤال الآن : الى متى تظل هيئة المسرح في مصر بلا مسؤول يقوم عليها رغم ان الموسم الجديد بدأ يطرق الابواب معلنا عن قدومه ؟ ان بعض العاملين في المسرح المصري يسأل بالحاح : هل خلت بلادنا من رجل واحد يصلح للقيام على امر هذه المؤسسة والاضطلاع بقيادة المسرح المصري ؟

ان العمل الفني يحتاج انتاجه اكثر من اي عمل آخر الى تخطيط فكري سليم يصدر عن تصور واع للقائمين عليه.. ويترجم هذا التخطيط الى عمل واقع استقرار اداري ثابت .. وقد انعكس غياب التخطيط ، وسيادة التخبط الاداري بشكل او باخر على حجم ونوع الانتاج المسرحي كما وكيفا .

ان غياب الخطة ـ اولا ـ وضياع المسؤولية ـ ثانيا ـ لا بد ان

يؤدي في النهاية الى هذه النتيجة المتوقعة التي انتهى اليهـا المسرح المصري في موسمه الاخير .

ولهذا يكاد يمثل هذا الموسم المسرحي اهمية خاصة عنـد اولئك الذين يهتمون بالمسرح في بلادنا ابتداء بالمؤلف والمخرج والممثل وانتهاء بالناقد والجمهور .

ان هذا الموسم يبلور ازمة المسرح المصري فـي سنواته الاخيـرة ويجسد لنا كاوضح ما يكون التجسيد ظاهرة « انحسار موجة المـد المسرحي » التي شهدناها علـى امتداد السنوات العشر الاخيـرة واستولت على اكبر حماس رسمي وشعبي شهده المسرح في مصر .

لقد بدأت مظاهر هذا الانحسار الخطير قبل اربع سنوات تقريبا تحت شعارات « تقصير الخطوط » و « ترشيد الانتاج » وغيرها مـن الشعارات التي تبلور في النهاية تغليب مـا يعرف بسياسة « الكيف » على سياسة « الكم » .

لقد عاش المسرح المصري لسنوات اسير فكرة تؤمن بتقديم اكبـر عدد ممكن من المسرحيات حتى لو تخللتها عروض دون المستوى اللائق او المطلوب .. وقد كانت لهذه السياسة مزاياها وكانت لهـا فـي نفس الوقت اخطاء فادحة لا يمكن ان تغتفر .

وبسقوط هذه الفكرة نشأت سياسة اخرى ـ هـي التي تسود الآن ـ تهدف الى وقف هذا الطوفان الكمي الجارف وتقديم مسرحيات قليلة جيدة ، ايمانا منها بأن القليل الجيد خير من الكثير الغث .

وقد تمثلت الترجمة العملية لهذه السياسة فـي اغلاق « المسرح العالمي » و « المسرح الحديث » وتناقص عدد عروض المسارح الباقيـة ـ وهي القومي والحكيم والكوميدي والجيب ـ بشكـل خطير عامـا بعد عـام .

لقد بلغ مجموع المسرحيات التي قدمتها الهيئة من خلال مسارحها الاربعه على طول وعرض هذا الموسم تسع مسرحيات فقط ( !! ) وهـو انتاج ضئيل لا يتناسب وميزانية هيئة المسرح وحجم العمالة بها وعدد سكان مدينة القاهرة ـ فقط ـ الذي يبلغ الستة ملايين نسمة .

ان انتاج هيئة المسرح ينكمش بنسبة الثلث عاما بعد عام فقد بلـغ عدد مسرحيات العام الماضي ثلاث عشرة مسرحية ، والعام الذي قبلـه تسع عشرة مسرحية ، بينما بلغ عـدد العروض التي قدمت عـام ١٩٦٧ ـ وهو العام الذي بدأ معه تنفيـذ سياسة الكيف ـ اربعـا وعشرين مسرحية .

وتمضي ظاهرة انحسار موجة المد في المسرح المصري نحـو ذروتها الخطيرة بذلك الاتجاه الذي يتبناه ويدعو له ويكاد يقوم على تنفيـذه الدكتور لويس عوض رئيس ما يسمى بلجنة الرأي في مؤسسة المسرح .. لقد تبنى الدكتور لويس اتجاها خطيرا يهدف الى مزيد من الانكماش والى تقليل عدد العروض المسرحية للمؤلفين المصريين او العرب الـى اقل قدر ممكن واحلال المسرح العالمي ـ الكلاسيكي والحديث ـ محـل العروض المحلية للمؤلفين العرب .

انها دعوة خطيرة ـ اخشى ان اقول مفرضة ـ تهدف الـى القضاء على البقية الباقية من الكتاب العرب بعـد « تغريب » المسرح المصري وتحويله الى منصة للعروض العالمية التي لا يقبل عليها الا قلة القلة من المشاهدين .. ان الدكتور لويس عوض يطالب بمسرح لـه ولخاصته المثقفة ـ او المستثقفة ـ وليذهب مسرح الجماهيـر العريضة الـى الجحيم !

وتثور ـ الآن ـ معركة شريفة من طرف واحد تقريبا يتزعمها ويدعو لها بحرارة واخلاص ناقدنا الشاب « رجاء النقاش » وهي المعركة التـي تهدف الى دحض هذه الفكرة ووأدها والابقاء على مصرية المسرح المصري .. فهل سينجح رجاء النقاش في دعوته تلك الشريفة ؟.. هـذا مـا ستسفر عنه الاسابيع القليلة القادمة .

تلك هي السمة الاساسية في المسرح المصري اليوم وفـي الموسم المسرحي الاخير على وجه التحديد .. سمة مضي الانتاج نحو التناقص المستمـر .

ومع تناقص عدد العروض المسرحية تنكمش ليالي العرض ، ويتقلص حجم الجمهور ، وتتفشى البطالة بين الممثلين ، وتوصد المسارح ابوابها امام المؤلفين الجدد لانها لا تكاد تستوعب المؤلفين القدامى ، ويجـد المخرجون انفسهم بلا عمل حتى يلجأ بعضهم الى الهجرة وترك البلاد الى الدول التي امضوا فيها بعثاتهم ، وتتوقف الاقلام النقدية عن الكتابة او تتجه الى تناول الوان ابداعية اخرى غير المسرح .

ومن جماع هذه النتائج تنفجر ازمة المسرح في مصر لتأخذ بخناق الجميع .. ويبدأ هؤلاء ـ كما يحدث الآن ـ في تناول حديث الازمـة واعراضها واسبابها بدل تناول المسارح وعروضها .

ان تقصير هيئة المسرح او قصورها ، وفشل مواسمها واحدا بعد الآخر ، وانحسار موجه المد المسرحي على هذا النحو الخطير هو السبب المباشر في تفشي تلك الظاهرة المرضية في حياتنا الفنية والتـي تعرف الان باسم « الفرق المسرحية الخاصة » .

لقد كانت النتيجة الطبيعية ـ أليس كذلك ؟ ـ لانكماش حجـم المسرح الجاد ان نشأت حاله من «الفراغ المسرحي » عند الفنان والجمهور المتلقي معا .. وكان لا بد ان يسارع بعض المرتزقـة ، وتجـار الفن ، والمغامرين ، والباحثين عن الشهرة ، والاقافين ايضا الى انتهاز الفرصة الذهبية وتكوين فرق مسرحية كثيرة تختص بتقديم لـون واحـد مـن المسرحيات هي الكوميديا الفامقة التي تجنح نحو التهريج وفن المهزلـة وتعتمد اولا واخيرا على احد نجوم السينما او نجم مسرحي محبوب .

ويبدو ان التجارة الجديدة كانت رابحة فاذا بهذه الفرق التجارية تتكاثر بشكل سرطاني مدمر وسريـع حتـى وصل عددهـا الـى اربعـة اضعاف عدد مسارح الدولة .

وكان لا بـد لهذه الفرق بحكم كثرتهـا وتعددها ونوعيـة عروضها وممثليها ان تستولي على اكثر جمهور المسرح المصري بحيث لـم يعـد لمسارح الدولة الجادة سوى البقايا القليلة من هذا الجمهور .

ومكمن الخطورة في استلاب الجمهور وانصرافه الى هذه الفـرق يأتي من نوعية العروض التي تقدمها والتي تساهم ولا شك فـي تسميم افكار هذا الجمهور فنيا وفكريا وافساد ذوقه وربما فـي اشاعة قيـم فاسدة تترسب في وجدانه على المدى البعيد .

ان تكاثر هذه الفرق وطغيان عروضها على هذا النحو ، وضيـاع العروض القليلة الجادة وسط هذا الطوفان المبتذل يقود المسرح المصري الجاد نحو نفس الهاوية السحيقة التي سقط فيها الفيلم المصري مـن قبل ولم تقم له قائمة بعدها .

لقد بدأت صناعة السينما في مصر بداية مبشرة ورائعة قبـل اربعين عاما حتى استولى عليها تجار الفن فـي اعقاب الحرب العالمية الثانية ورفعوا شعارا كاذبا يبررون به المستوى الهابط لافلامهم وهـو شعار « الجمهور عاوز كده » وانتهوا بالفيلم المصري الى هـذه النهاية الاسيفة التي نعرفها جميعا ..

واليوم يستولي نفس تجار الفن عـلى المسرح المصري ، ولكنهـم يرفعون شعار « الجمهور عاوز يضحك » ويقدمون في ظل هـذا الشعار الزائف اعمالهم الزائفة التي اخشى ان تنتهي بهذا المسرح الـى نفس المصير الذي انتهت اليه السينما في مصر .

واخطر ما في الامر ان بعض مسارح الهيئة قد وجدت نفسها مرغمة على تبني نفس اساليب هذه الفرق وتقديم عروض اشبه مـا تكـون

بعروضها ـ وربما اكثر خشونة وفظاظة ـ لتواجه منافستها العنيفة .. ويكفي ان نذكر هنا تلك العروض التي شاهدنا فيها اعمالا مثل « امبراطورية ميم » و « البخيل والحب » و « رحلة فطار » و « جمعية كل واشكر » وغيرها لنتأكد من صدق هذا المعنى .

ان تخبط مؤسسة المسرح وفشل عروضها هو الذي مكن لهذه الفرق من الظهور وساعد على تفريغ هذه الحركة الفنية المرضية التي تقود المؤسسة والمسرح المصري معها الى هاوية بلا قرار .

واحسب ـ الآن ـ ان على كتاب المسرح الجاد والمخرجين والممثلين والنقاد والمسؤولين عن الحركة المسرحية في بلادنا تدارك الامر بعقد « مؤتمر عام » يناقش اسباب الازمة ، ويضع الحلول ، ويحدد العلاقة بين مسرح الدولة الجاد ومسارح الفرق التجارية الخاصة .. ويبحث قبل كل شيء عن السبب المباشر وراء كل هذه المشاكل واعني بذلك انكماش حجم الحركة المسرحية ونقلصها على هذا النحو الخطير الذي يهدد بالاختناق والموت .

هل يعني هذا كله ان نرفض سياسة « تقصير الخطوط » و « ترشيد الانتاج » او ما يسمى بسياسة « الكيف » التي ترفع شعارا هو « انتاج قليل ولكنه رفيع المستوى » ونعود مرة اخرى الى ما عرفناه قبل سنوات بسياسة « الكم » التي تهدف الى انتاج اكبر عدد ممكن من المسرحيات وينضوي تحت لوائها الجيد والرديء معا ؟

الحق ان سياسة « الكم » هذه قد اثبتت فشلها الذريع عبر السنوات التي سيطرت فيها . فلقد تكاثر الانتاج الرديء الى الدرجة التي طغى فيها على القليل الجيد الذي قدر له الظهور في تلك الفترة ، ودفعت الى سطح الحياة الفنية بعدد من المرتزقة والعاطلين عن الموهبة ، وساعدت على تضخم العمالة في هيئة المسرح بشكل خطير اصبح يستهلك الجزء الاكبر من ميزانية هذه الهيئة التي يجب ان تنصرف جميعها الى الانتاج الفني . هذا كله فضلا عن ان ظروف وزارة الثقافة بعد النكسة لا تسمح بتواجد تلك الميزانيات الضخمة التي يتطلبها تنفيذ هذه السياسة .

ولكن السياسة البديلة ـ سياسة الكيف ـ من ناحية اخرى لم تستطع الوفاء بما الزمت به نفسها من رفعة مستوى الانتاج الفني .. ويكفي للتدليل على فشل هذه السياسة ـ ايضا ان مواسم هيئة المسرح تسجل فشلا لا خلاف عليه عاما بعد عام .. وهو الفشل الذي مكن لفرق المسرح التجاري من الظهور الواسع والسريع على هذا النحو وغطى سماء المسرح المصري بما لا حد له من الانتاج الرديء .. وهو الانتاج الذي يساهم ـ الآن ـ في خنق المسرح الجاد وتعثر خطاه .

ان على هيئة المسرح ان تعيد النظر في خططها بما يتيح لها تطوير هذه السياسة .. فلقد كان الاخذ بمبدأ الانتاج القليل الجيد سببا في الانفاق بغير حد على عدد محدود من المسرحيات لا يراها الا فلة القلة .. كما كان سببا في انحسار موجة المد المسرحي الجاد وترك الميدان واسعا وفسيحا امام مسرح الخيانة الزوجية المستورد من بقايا الفودفيلات التجارية الفرنسية .

وفي ظروف اللحظة التاريخية التي نمر بها بعد النكسة وطبيعة معركتنا الحضارية مع العدو فلا بد من انتاج كثير ، ورفيع المستوى ، وقليل النفقات في الوقت نفسه .

نعم ... لا بد من « انتاج كثير جيد باقل التكاليف » وتلك هي المعادلة الصعبة التي ينبغي التخطيط او اعادة التخطيط لها وعلى ضوئها .. واعتقد ان حل هذه المعادلة لا يأتي من تلك الاجهزة البيروقراطية الجوفاء في هيئة المسرح ، وانما يملكه الفنان المسرحي اولا .

ان انجح مسرحيات هذا الموسم فنيا وجماهيريا ، وهي مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » كانت اقل المسرحيات تكلفة بحسبان مستوى تكاليف الانتاج في الهيئة .

انني اعتقد ـ برغم كل شيء ـ انه لا مستقبل للمسرح في مصر الا من خلال الدولة .. ومن خلال هيئة المسرح على وجه الدقة .

واكتساح المسرح التجاري الذي نشهده الآن ليس سوى ظاهرة مرضية لا مستقبل لها وينبغي ان تزول .. واكاد المح بوادر انهيار هذا المسرح بعد ان عزفت عنه الجماهير ـ نسبيا ـ في صيف العام الماضي وشتاء هذا العام .

ان هذا الرأي لا يعني اننا نصدر عن موقف متعنت من القطاع الخاص والمسرح التجاري .. فما احوجنا الى عشرات الفرق المسرحية وعشرات المسارح .. ولكن نقطة الخلاف تأتي من رفضنا لنوعية الانتاج الذي تصر هذه الفرق على تقديمه وهو الانتاج الذي يتعامل اساسا مع جمهور الطبقة الوسطى العالية ويستهدف اساسا الترفيه عنها وارضاء مشاعرها الحمقاء .

هذا يعني ـ في النهاية ـ ان سياسة الانكماش وتقصير الخطوط ضمانا لجودة الانتاج لم تحقق شيئا .. او قل انها حققت تلك الازمة التي تأخذ بخناق المسرح المصري الان .

لقد تحقق الانكماش فعلا .. ولكن تحقق الجودة امر مشكوك فيه شك يعقوب في اولاده وقد اضاعوا يوسف .

وحتى لا نتهم باطلاق الاحكام جزافا فاننا نقف ـ الآن ـ امام مسرحيات هذا الموسم الذي يعتبر اقل المواسم انتاجا في تاريخ هيئة المسرح .

ـ المسرح القومي : لم يحدث في السنوات العشر الاخيرة ان اقتصر موسم المسرح القومي على تقديم مسرحيتين فقط على طول وعرض موسمه المسرحي كما حدث هذا العام . لقد انتكس المسرح العتيد بغياب كتاب الصف الاول عنه مثل سعد الدين وهبه ونعمان عاشور ويوسف ادريس وغيرهم .. ولهذا اقتصر موسمه على عرضين لا ثالث لهما هما : « وطني عكا » التي كتبها عبد الرحمن الشرقاوي واخرجها كرم مطاوع ، و « النار والزيتون » التي كتبها الفريد فرج واخرجها سعد اردش .

وقد كانت القضية الفلسطينية من خلال العمل الفدائي هي موضوع المسرحيتين .. وبرغم خطورة القضية واهميتها فان واحدة منهما لم تتألق ذلك التألق المنتظر المأمول .. لم يكن تعاون كرم مطاوع والشرقاوي على نفس مستوى الابداع الفذ الذي ظهرا به من قبل في مسرحية كالفتى مهران مثلا .. لقد هوجمت المسرحية بضراوة واكاد اقول انها اتهمت في بعض الاحيان ومع هذا فقد استمر عرضها طويلا لسبب بسيط هو ان المخرج كان هو المدير فضلا عن ان المسرح لم يكن قد اعد المسرحية التالية للعرض .

اما « النار والزيتون » فبرغم كل ما يتمتع به النص من جدة والاخراج والتمثيل من مستوى فني رفيع فان العرض لم ينجح على المستوى الجماهيري ذلك النجاح الذي تحقق لالفريد فرج او لسعد اردش في مسرحيات سابقة .. ولم يكن اقبال الناس على المسرحية يتكافأ مع مستوى العرض وخطورة القضية التي يتناولها ولهذا لجأ المسرح او المؤلف او هما معا الى دعوة او استجلاب كميات من المتفرجين على شكل مجموعات وهو نجاح اقل ما يقال عنه انه مصطنع او مصنوع .

ومقارنة هذا الموسم الذي يصدر عن البيت المسرحي العتيق بمواسم سابقة كتلك التي شاهدنا فيها ـ في الموسم قبل الماضي مثلا ـ اعمالا مثل « الزير سالم » و « بلاد بره » و « المسامير » و « حاملات القرابين » و « رجال بلا ظلال » يؤكد لنا ان المسرح القومي لم يحقق في هذا الموسم نجاحا فنيا او جماهيريا يذكر ، او انه على الاقل لم يحقق نجاحا يتناسب مع مكانته الفنية العريقة في مصر والبلاد العربية

ـ مسرح الحكيم : قدم مسرح الحكيم ـ ايضا ـ مسرحيتين

يتيمتين هما « جان دارك » التي كتبها جان انوي واخرجها احمد زكي و « انت اللي قتلت الوحش » التي كتبها علي سالم واخرجها جلال الشرقاوي .

والحكم على موسم هذا المسرح من خلال هاتين المسرحيتين اللتين قدر لهما الظهور يحمل ظلما فادحا لمسرح الحكيم .. فلقد كان في خطة هذا المسرح تقديم خمس مسرحيات لم يظهر منها سوى هاتين المسرحيتين واوقفت المسرحيات الثلاث الاخرى وهي « سبع سواقي » لسعد الدين وهبه و « المخططين » ليوسف ادريس و « القرش الازرق » لصالح مرسي قبل العرض بايام او ليلة الافتتاح .. وقد تعددت الاسباب في عدم ظهور هذه المسرحيات .. فمنها ما توقف بسبب نكوص المؤسسة ومنها ما توقف لاسباب اخرى .. ولكن النتيجة ان دم هذه المسرحيات الثلاث الجيدة قد اهدر فضاع على مسرح الحكيم موسم مسرحي كان يمكن ان يكون ناجحا وخسر المسرح المصري اعمالا ثلاثة تتناول اللحظة التاريخية الحاسمة التي يمر بها الوطن تناولا فنيا جميلا .. ولكن ما يشفع لنا – وهو اضعف الايمان – ان هذه المسرحيات قد نشرت وقرئت وقيمت كأحسن ما تكون القراءة والتقييم . (1)

وبرغم ان مسرحية « جان دارك » قد حققت مستوى فنيا متواضعا على مستوى التمثيل والاخراج ونجاحا جماهيريا اكثر تواضعا ، فلقد كانت على اي حال هي المسرحية العالمية الوحيدة التي عرضها المسرح المصري في هذا الموسم .

اما مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » فقد كانت هي انجح مسرحيات هذا الموسم على الاطلاق على المستويين الفني والجماهيري معا برغم ان المسرحية قد تعرضت لنوع من الاضطهاد حين تم تغيير بعض ابطالها الاساسيين – جلال الشرقاوي واحمد عبد الحليم وماجدة الخطيب – باخرين .. وبرغم انها قد اجهضت عمدا على المستوى الاعلامي والنقدي معا .. وربما اقول انها قد حوربت على مستوى بعض المسؤولين في هيئة المسرح نفسها .

وبهذا المعنى فان مسرح الحكيم يعتبر هو اكثر مسارح المؤسسة نجاحا هذا العام برغم غياب تلك المسرحيات الثلاث التي لم يقدر لها الظهور .. ولو ان هذه المسرحيات قد خرجت الى النور لكان لمسرح الحكيم – وللموسم المسرحي كله – شأن آخر .

– مسرح الجيب : يعتبر مسرح الجيب هو اكثر المسارح انتاجا هذا العام ولكنه ليس اكثرها قيمة على اي حال .. وهنا موطن الخطورة اذ ان المفترض في مسرح الجيب انه يقدم ارفع انتاج مسرحي ممكن فهو مسرح الخاصة المثقفة كما يقال !!

قدم هذا المسرح ثلاثة عروض هي « تحت المظلة » لنجيب محفوظ واحمد عبد الحليم و « ثورة الزنج » لعبين بسيسو ونبيل الالفي ، و « حبظلم بظاظة » لفاروق خورشيد ومحمد عبد العزيز .. وكان يعد عرضا رابعا هو « الانسان والظل » لمصطفى محمود وحسن عبد السلام ولكن العرض لم يخرج الى النور .

وقد استطاع العرض الاول بأغراء اسم نجيب محفوظ الذي يقدم على المسرح للمرة الاولى فضلا عن اسم البطل شكري سرحان ان يحقق نجاحا جماهيريا طيبا بالقياس الى حجم جماهير مسرح الجيب وبصرف النظر عما اذا كانت حواريات نجيب محفوظ تعتبر مسرحا في عرف النقاد ام لا .. لقد حقق العرض نجاحا جماهيريا يتجاوز امكانياته الفنية .

اما العرض الثاني – ثورة الزنج – فهو يقوم على مسرحية رديئة على المستوى الفني والفكري معا .. الله عمل يحفل بالتزييف التاريخي والفني وقد اثار عرضه من المشاكل السطحية والتافهة اكثر مما اثار من قضايا الفن اذا كان قد اثار اي قضية فنية .. وبرغم كل ما احيط به العرض من ضجيج ودعاية مفتعلة ومغرضة تبنتها محررة في « المصور » فقد مر بسلام على الجمهور والنقاد جميعا فلم يحفل به احد ، ومضى دون ان يحقق نجاحا جماهيريا او فنيا يذكر .. او على الاقل دون ان يبلغ من النجاح ما كان متوقعا له .

ان هذا العرض يعتبر نموذجا لتلك العروض الباهظة التكاليف التي تذهب بأموال المؤسسة دون ان تحقق شيئا من فائدة اللهم الا ضياع الوقت والجهد والمال جميعا .

واما العرض الثالث والاخير – حبظلم بظاظة – فهو لا يحل سوى مشكلة مخرجه محمد عبد العزيز الذي امتدت بطالته وتوقفه عن الاخراج حتى وجد هذا النص – الذي يتصل بأوهى صلة بفن المسرح – والذي صارع من اجل اخراجه والقيام ببطولته فكان له ما اراد .. اما ان نجاحا فنيا او جماهيريا او نقديا قد تحقق فهذا شيء بعيد .

ومعنى هذا ان مسرح الجيب – في النهاية – برغم تعدد عروضه لم يحقق شيئا مذكورا من النجاح لسبب بسيط غير مباشر هو انه مسرح بلا شخصية وبلا وظيفة فنية او فكرية محددة .

– المسرح الكوميدي : اعتقد ان مسرحا من مسارح المؤسسة لم يحقق فشلا كذلك الذي حققه المسرح الكوميدي في هذا الموسم ، وهو فشل لم يتحقق على هذا النحو غير المسبوق من قبل في اي من مواسمه السابقة .

قدم هذا المسرح عرضين جديدين واعاد عرضا ثالثا سبق ان قدمه في الصيف الماضي .. وقد مثلت هذه العروض الثلاثة فضيحة فنية يجب ان يحاسب القائمون عليها حسابا فيه شيء كثير من العنف وشيء كثير من القسوة .

اما العرض الاول فقد اخرجه كمال ياسين تحت عنوان « حب لا ينتهي » وهو يقوم على مسرحية فرنسية مقتبسة – لا نعلم من الذي اقتبسها هل هو الدكتور القصاص ام احمد رجب ام علي سالم – من فودفيلات المسرح التجاري الفرنسي الحديث الذي يعتمد – ايضا – على ذلك الثالوث الخالد المكون من الزوج والزوجة والعشيقة .

وبحسابات الجمهور او الشباك فان هذا العرض قد حقق شيئا من النجاح الجماهيري لاعتماده على نجم سينمائي يظهر على خشبة المسرح للمرة الاولى هو احمد مظهر .. ولكن العرض بحسابات النقد الفني الذي يطالب بمسرح كوميدي راق وهادف ومؤلف يختلف عن المسرح الكوميدي التجاري يعتبر عرضا سيئا لانه يدور في نفس فلك تلك العروض التي تقدمها الفرق الخاصة وتلقي اكبر قدر من رفض النقاد وهجومهم .

اما العرض الثاني فقد قدمت فيه ثلاث مسرحيات من ذات الفصل الواحد هي « امبراطورية ميم » المعدة عن قصة قصيرة لاحسان عبد القدوس و « البخيل والحب » و « رحلة قطار » لتوفيق الحكيم .

وقد اريد لهذا العرض ان يخرج من خلال شبان المسرح الكوميدي ممثلين ومخرجين وهو يرفع شعارا براقا ينادي باعطاء الفرص للجيل الثاني والمواهب الشابة .

وقد خرج العرض بما يعتبر فضيحة فنية – او قل جريمة فنية – فلم يحقق نجاحا فنيا او جماهيريا او نقديا وجاء بصورة منفرة لا تليق بمسارح روض الفرج في عهدها الفابر فضلا عن ان تليق بمسرح يحمل اسم الدولة وتنفق عليه من اموال هذا الشعب .

انني اعتقد ان غرضا خبيثا كان ينطوي وراء هذا العرض .. وهو غرض يهدف الى وصم هؤلاء الشبان بالفشل وبعدم القدرة على العطاء

---

1 – انظر مقالنا « الموسم المسرحي المرفوض في القاهرة » الذي تناولنا فيه هذه الاعمال وغيرها . الآداب . نوفمبر ١٩٦٩ .

ليبقى المسرح الكوميدي ـ كما هو الآن ـ معتمداً على النجم الخارجي وعلى المسرحية المقتبسة ما دامت مسرحيات كبار المؤلفين مثل احسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم تلقى كل هذا الفشل .

اما المسرحية الثالثة وهي « جمعية كل واشكر » فلا ادري لماذا اعيد عرضها واخراجها بعد ان منيت في الصيف الماضي بفشل لم يتحقق لمسرحية من قبل او بعد .. اغلب الظن ان انيس منصور كان وراء اعادة عرض المسرحية في القاهرة لعلها تحظى ببعض النجاح ولكنه لم يحقق سوى اعادة الفشل من جديد .

ان مقارنة موسم المسرح الكوميدي هذا بموسم احدى الفرق الخاصة المرفوضة لا يمكن ان يكون في صالح المسرح الكوميدي .. ويكفي ان ثلثي انتاج هذا المسرح في موسمنا هذا لا يرقى الى مستوى العرض فضلا عن انه دون مستوى النقد .

ـ يضاف الى هذه العروض في النهاية ذلك العرض الوحيد اليتيم الذي قدمته فرقة الاسكندرية غير الشرعية او غير الرسمية وهو اوبريت « شهرزاد » الذي اخرجه حسين جمعة لسيد درويش .. لقد نجح الاوبريت على مستوى مدينة الاسكندرية ولا شك .. ولكن يبقى ان يقدم العمل في القاهرة لينجح على مستوى العاصمة ايضا .. انني اعتقد ان تقديم هذا الاوبريت في القاهرة يمكن ان يحقق نجاحا افضل واوسع مما يمكن ان نحققه لنا تلك الاوبريتات السخيفة التي اعيد اخراجها بعد ان فشلت منذ سنوات في عرضها الاول .. والسؤال الآن هو : لماذا يعاد اخراج هذه الاوبريتات بينما يصادر على عرض جاهز بالفعل هو شهرزاد؟.. الاجابة ببساطة ان هيئة المسرح تبحث ـ دائما ـ عن اغرب السبل لبعثرة الاموال فيما لا يفيد .

والآن .. ماذا يمكن ان نخرج به من هذه الصورة العامة لمسرحيات هذا الموسم ؟

المؤكد اننا بصدد موسم مسرحي قليل الانتاج كما، متواضع القيمة كيفا وهو موسم مسرحي فاشل يعتبر اكثر فشلا من موسم سابق كنا نعتبره ايضا فاشلا .. ولست ادري الى اي مدى يمكن ان تصل الازمة بالمسرح المصري في ظل هيئة المسرح وهمومها الذاتية الداخلية والتي ليس اقلها الازمة المالية والتضخم الاداري والوظيفي وغياب التخطيط الناجم عن سوء الادارة او عدم الرغبة في العمل والغيرة عليه فضلا عن فقدان الحماس .

يؤكد لنا هذا الموسم ايضا ان سياسة تقصير الخطوط التي تعتمد على تقديم مسرحيات قليلة ولكنها جيدة لم تحقق شيئا من هذا على الاطلاق .. فالمسرحيات قليلة فعلا ولكن جودة معظمها امر بعيد بعد يوسف عن الخطيئة التي حاولت ان تلصقها به امرأة العزيز .

هناك بعد هذا مجموعة من السمات العامة التي يتميز بها هذا الموسم وهي تحمل ضمن ما تحمل بعض ملامح الايجاب والسلب في هذا الموسم بما يحدد خطوطه العامة .. وسنلاحظ ان مجموعة من هذه السماح كانت ايضا هي اهم العلامات المميزة لمواسم سابقة ولكن مع اختلاف في التفاصيل والاسماء .. ولعلنا قد تناولنا بعض هذه السمات في مقالات سابقة ولكننا لا نملك الا ان نتناولها مرة اخرى من خلال وقائع هذا الموسم المسرحي :

ـ اولا : كانت القضية الفلسطينية ومعركة التحرير وتفجر المقاومة هي الملمح الحاسم الذي سيطر على مسرحيات هذا الموسم .. لقد استجاب المسرح المصري بصورة فورية ورائعة لظروف اللحظة التاريخية الحاسمة التي تتصل بمرحلة ما بعد النكسة فكان بهذه الاستجابة اقوى صدى للتعبير عن وجدان الجماهير في لحظة بالغة الخطورة والاهمية .. وفضلا عن المسرحيات التي كتبت ولم تقدم فقد ظهرت في هذا الموسم ثلاث مسرحيات هي « وطني عكا » و « النار والزيتون » و « ثورة الزنج » فتأكد بظهورها تلاحم المسرح المصري مع اللحظة التي يعيشها وتأكد بها ان الكاتب العربي يقف شاهدا على عصره بلا جدال .

ـ ثانيا : كانت القضية السياسية والاجتماعية محورا لعدد آخر من مسرحيات هذا الموسم لعل اظهرها مسرحيات « انت اللي قتلت الوحش » و « وطني عكا » و « حبظلم بظاظة » .. ان الحدث السياسي والاجتماعي كان موضوعا هاما للحدث المسرحي في هذا الموسم .

ـ ثالثا : كان التاريخ والاسطورة والمأثور الشعبي ملجأ لعدد من كتابنا الذين استلهموه احداث مسرحياتهم .. وقد كانت هذه المصادر وسائل فنية غلفت بها مسرحيات مثل « انت اللي قتلت الوحش » و « ثورة الزنج » و « حبظلم بظاظة » وكان هذا سببا في شيوع الرمز في هذه المسرحيات ولكن المتفرج العادي لم يفقد القدرة على اسقاط ظروف اللحظة التاريخية المعاصرة على هذه المسرحيات .

ـ رابعا : قدم لنا هذا الموسم المسرحي ـ برغم كل ما يمكن ان يؤخذ عليه ـ مجموعة من المؤلفين الجدد الذين يقدمون على خشبة المسرح للمرة الاولى وهم نجيب محفوظ ومعين بسيسو وفاروق خورشيد .. والطريف انهم قدموا جميعا من خلال مسرح الجيب .. وفي الوقت الذي قدم فيه هذا الموسم اسماء هؤلاء الكتاب الجدد فقد طوى اسماء نعمان عاشور وسعد الدين وهبه ويوسف ادريس ورشاد رشدي ومحموددياب فلم يقدم لاحدهم شيئا رغم ان لهم جميعا مسرحيات مكتوبة بالفعل وقد قدمت لمؤسسة المسرح قبل بداية الموسم .

ـ خامسا : شهد هذا الموسم نهاية فرق الطليعة التي ظهرت قبل ثلاث سنوات لتستوعب المؤلفين والمخرجين الجدد .. وقد نجحت الفكرة مع بدء ظهورها ولكنها ضعفت في العام التالي وترنحت في العام الماضي ومانت هذا العام .. لقد كان « المسرح الحديث » ـ قبل الغائه ـ هو المتنفس الوحيد للمؤلفين والمخرجين الجدد .. ومع اغلاق المسرح الحديث كانت فرق الطليعة هي المتنفس الوحيد لهؤلاء الشبان ومن خلال هذه الفرق امكن تفريخ عدد منهم كان يبشر بعطاء لا شك في جودته ومع اغلاق هذه الفرق فلقد بدا ان كل النوافذ قد اغلقت امام البراعم الجديدة من الشبان .. ولكن هؤلاء سرعان ما وجدوا مخرجا لازمتهم في فرق الثقافة الجماهيرية المتعددة او في بعض الافكار المبتكرة كفكرة مسرح القهوة .

ـ سادسا : تفجرت في هذا الموسم ـ لاول مرة ربما ـ مشكلة جديدة لعلها تعبر عن الازمة الطاحنة التي يمر بها المسرح المصري اليوم .. هذه المشكلة هي مشكلة « استقالة » الكثير من الفنانين الكبار داخل المؤسسة سواء كانوا ممثلين او مخرجين .. لقد استقال مع بداية الموسم عبد الرحمن ابو زهرة وسهير البابلي وعبد السلام محمد وهالة فاخر وغيرهم وامكن ارضاء البعض فعدلوا عن استقالاتهم بينما اصر البعض الآخر على موقفه .. ومع نهاية الموسم انفجرت المشكلة على نحو خطير حين استقال دفعة واحدة اربعة من اكبر مخرجي المسرح المصري والمسؤولين عنه وهم سعد اردش مدير قطاع الفنون الاستعراضية والشعبية وكرم مطاوع مدير المسرح القومي وجلال الشرقاوي مدير مسرح الحكيم واحمد عبد الحليم مدير مسرح الجيب .

وقد كانت استقالة هؤلاء المخرجين تعني ان ثمة خللا خطيرا يدمر المؤسسة من الداخل .. وان امور المسرح المصري تمضي على غير ما يرضي الفنان صاحب هذا المسرح .. والغريب ان استقالة هؤلاء الفنانين الكبار قد قبلت اولا ثم عدل عن قبولها بعد عدة اسابيع وعاد المخرجون الى حظيرة المؤسسة ولكنهم عادوا اشبه بالموظفين لا الفنانين لانهم حددوا موقفهم بعدم قدرتهم على العمل في ظل التخبط الذي تمضي فيه المؤسسة .. فاذا اضيف الى هذه الاستقالات استقالة الدكتور عبد العزيز الاهواني واقالة عبد المنعم الصادي لتبين لنا حجم الفساد الذي يضرب بجذوره في مؤسسة المسرح بالفعل .

ـ سابعا : تفجرت في هذا الموسم ايضا « ازمة التقاليد » في المسرح المصري وابرز مظاهر هذه الازمة تلك المشكلة التي ثارت حول مسرحية « ثورة الزنج » وبطولتها ، والمشكلة التي ثارت حول المخرج الممثل وتبادل المنفعة بين المخرجين المديرين ( !! ) والمشاكل التي تفجرت ـ سرا ـ حول اعادة مسرحية « جمعية كل واشكر » ، وحول اخفاء اسم المعد الحقيقي لمسرحية « حب لا ينتهي » وهو علي سالم ، وحول الغاء العرض الشعري الذي كان يعده مطاوع للمسرح القومي ، وحول اجهاض مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » اعلاميا ونقديا .

ـ ثامنا : آخر السمات التي يتميز بها هذا الموسم انه موسم مسرحي بلا نقد .. وانحسار الحركة النقدية بشكل عام والنقد المسرحي بشكل خاص هو احد مظاهر الازمة التي افصحت عن نفسها قبل اربع سنوات مضت بعد ان توقف نقادنا الكبار عن الكتابة وتركوا الميدان لكتاب اليوميات ومحرري الصحف والمجلات واصحاب الاركان اليومية والاسبوعية الامر الذي ادى الى فوضى نقدية اختلت معها المقاييس والاحكام ووصل الامر الى حد المطالبة باغلاق مجلة « المسرح » وهي الرئة الصحية الوحيدة الباقية في الميدان .

والنتيجة اننا لم نلتق سوى باسماء ثلاثة فقط هي التي حاولت ان تغطي هذا الموسم نقديا وتتابعه على نحو ما .. اولها محررة في « المصور » استطاعت ببراعة ان تثير ما لا حد له من المشاكل الشخصية التافهة والمفرضة دون ان تستطيع اثارة قضية فنية واحدة على طول وعرض الموسم برغم انها انفردت بالميدان على طريقة قول الشاعر .. « خلا لك الجو .. » ولكن قدراتها النقدية لم تمكنها من اثارة شيء من قضايا هذا الموسم الحافل . وثاني هذه الاسماء لمحرر من قصار القامة حاول ـ ايضا ـ ان يتابع الموسم في مجلة « روز اليوسف » ولكن ملكاته النقدية الضعيفة لم تمكنه من شيء فلم يصل صوته النقدي ـ اذا كان ما يكتبه نقدا ـ الى ابعد من اذنيه .. واما الاسم الثالث فهو لناقدنا الشاب سامي خشبة الذي حاول قدر جهده متابعة الموسم داخل اطار المساحات الممنوحة له في جرائد دار التحرير المحدودة .

لقد قيل ان اهمية النقد المسرحي لا تنحصر فقط في تقييم العمل الفني وانما في رصد الحركة المسرحية في بلادنا وتوجيهها . الناقد قائد . ونحن نعيش حركة مسرحية بلا نقد ولا قادة .

وبعد .. هذه هي ازمة المسرح المصري كما تبدو بشكل مصغر من خلال هذا الموسم فما العمل ؟ هل نطالب مرة اخرى بنفس الاشياء التي طالبنا بها كثيرا في هذه المجلة وفي غيرها ؟ لا بأس . فلم نمل بعد ولعل في التكرار ما يفيد .. واذن فنحن نقول : انه لا بد من مؤتمر جاد للمسرحيين . لا بد من مواجهة المشاكل بصراحة ووضوح . لا بد من خطة دقيقة بعيدة المدى وخطط موسمية محددة يلتزم بتنفيذها . لا بد من اصلاح اداري حاسم يضمن الثبات والاستقرار . لا بد من اعادة تقييم الممثلين والمؤلفين على نحو يضمن لهم التفرغ والاستقرار . لا بد من ان يصبح المسرح المصري مسرحا مصريا لا فاهريا . لا بد من انشاء البيوت المسرحية لتحديد وظيفة كل مسرح . لا بد ان يصبح المسرح المصري مسرحا عربيا . لا بد من اعادة النظر في سياسة الانكماش . لا بد من ارساء تقاليد مسرحية سليمة . لا بد من كل هذا وغيره ليخرج المسرح المصري من ازمته وليلعب دوره الحاكم في معركتنا الحضارية الخطيرة ضد اعداء الحضارة والحياة .

القاهرة — **محمد بركات**


# كتب سياسية وقومية

## من منشورات دار الآداب

| | ق. ل |
|---|---|
| **ادب المقاومة في فلسطين المحتلة** | ٢٥٠ |
| تأليف غسان كنفاني | |
| **اقتراح دولة فلسطين** | ٢٠٠ |
| تأليف احمد بهاء الدين | |
| **النزاع السوفياتي الصيني** | ٥٠٠ |
| تأليف جورج طرابيشي | |
| **هكذا انتصر الفيتكونغ** | ٢٥٠ |
| ترجمة ريمون نشاطي | |
| **الكواكبي ، المفكر الثائر** | ٣٥٠ |
| ترجمة علي سلامة | |
| **ثورة كوبا** | ٤٥٠ |
| فيدل كاسترو | |
| **كاسترو يتكلم** | ٣٥٠ |
| ترجمة فكتور سحاب | |
| **تجارب اشتراكية** | ٤٥٠ |
| ترجمة جورج طرابيشي | |
| **المرأة والاشتراكية** | ٤٠٠ |
| ترجمة جورج طرابيشي | |
| **الوجه الآخر لامريكا** | ٤٠٠ |
| ترجمة ادوار الخراط | |
| **حرب العصابات** | ٢٠٠ |
| تأليف ارنستو غيفارا | |
| **قصة المقاومة الفيتنامية** | ٣٠٠ |
| الجنرال جياب وآخرون | |